*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

نصّار إبراهي م

الحذاء!

ربمّا هي مجرّد نكتة ذكيةّ.

لكنهّا أصبحت حكاية. حكاية كلّ النأّس.

لم يعرف أحد لماذا أصرّ نزار الذّهاب إلى رام الله. الوضع لا يشجّع على ذل ك. الحواجز العسكرية. الإهانات. السير المضني عبر التلّال والحواجز الترابية. إلاّ أن نزار وبعناد العمال أصرّ على ذلك. هناك مسالة يجب إنهاؤها في رام الله، يجب السّفر «سأحتمّل الطريق... لقد تعوّدنا على ذلك. أصبحت طبيعية. لم يدرك الإسرائيليون أنهم حوّلوا كل ما هو غير طبيعي في حياتنا إلى امر طبيعي. وغير ذلك ما العمل!؟ هل جلس حتى الموت؟ ماذا سنتنظر ؟».

إستقلّ السيارة ومضى. يجب أن يصل إلى رام الله. لا حلّ آخر.

السيارات تمضي بين التلّال. كيلومتر على الطريق المعبدّة ومثلها عبر الطرق الترابية. يرسل نزار بصره إلى التلّال: دائمًا يجد النأّس طريقة للإلتفاف... الطرق الإلتفافية علمّتهم الإلتفاف. الإلتفاف على الحواجز، الأوامر، التعّب، الياس. إنهم مثل أسراب النمّل التّي تجد دائمًا مخرجاً وطريقاً عندما تسحق بيوتها ودروبها.. . إنها مبدعة في الإلتفاف ،التكيفُّ والمواصلة.

تستغرق أياماً وهي تحفر بأفواهها وارجلها الدقيقة. تحمل حبأّت الترّاب تدحرجها بعيد اً.

Margine

*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

تفتح ثغرة صغيرة لكنها كافية لتواصل طريقها وكأن شيئاً لم يكن.ربمّا بعد دقيقة يدمّر أحدهم صدفة أو عن قصد الفتحة الصغيرة. تقف أسراب النمّل. تحرّك قرون استشعارها بألم وحزن، تتأمّل المشهد، تتزاحم، تندفع من جديد وتبدأ العمل.

على الدروب المتربة، يبدو النأس كت الا صغيرة سوداء تتحرّك في خيوط، تتعرّج، تقف، تمشي، تتقدّم، تتراجع. أسراب من البشر يتعربشون أي شيء ليصلوا. كأنهّم يسيرون في جحيم دانتي، أو على الصراط المستقيم. يتزاحمون، يتسلقّون، يقفزون من فوق الحواجز الترابية. بعد ساعة قد تغلقّ الجرافات العملاقة مسارب النمّل الجديدة بالصخور والترّاب والحواجز الإسمنتية، تقف الكتل السوداء الصغيرة، تتأمّل... تلتف حول ذاتها، حول عذابها، حول العرق والدموع. ومع ذلك تجد طريقها من جديد، تخترعها، تكتشفها.

وتواصل عنادها الأزلي.

نزار يمضي كغيره، يتسلقّ مسارب النمّل الدقيقة على التلّال، يشتم، يغضب، تتقرّح قدماه، يسقط، ينهض، يمسك بيد عجوز ويصعدان ممّا.. . يجب أن يصل إلى رام الله. ربمّا نسي في تلك اللحظة لماذا يريد الذهاب إلى رام الله. لم يعد لذلك أهمّية. لقد أصبح الوصول بحدّ ذاته هو الهدف. القدرة على العناد إثبات الذات، ولهذا فإن مجرّد الوصول هو نوع من انتصار، وهذا يكفي.. .

حواجز، بنادق، جنود، تدقيق هويات، انتظار، شتائم وإهانات.. . الزمن يمضي بطيئاً، حارًا، ومترباً. كل شيء يختلط بكل شيء. الترّاجع والتقّدم لهما ذات المقدار من العذاب.

في الخلف حواجز وإهانات وفي الأمام أيض اً... إذن للأمام. ألم الوصول والإنجاز في مواجهة ألم الإنكسار، معادلة بسيطة، واضحة. شعب بكامله يلتف، يتخطّى المنطق ليحفظ لذاته منطقها. البقاء أولاً وإلا الموت.

*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

نزار يسبح في خيالاته، يتسلق خيطًا من أمل في إيقاع رتيب مع قدميه. كل تلةّ، حاجز يتخطاه إنجاز يغذّي عناده وهو يتسلقّ التلةّ التالية. يضحك ليصمد. حينها يبدو وكانه أسعد إنسان. لحظتها، لحظة الضحكة الصافية تلك، يكون فعلاً سعيد اً.

لا يتوقف عن المراوغة. من سيارة لأخرى. من تلةّ لجبل. من حاجز لآخر... يقترب ،يصعد، ويصعد. الطريق تنساب صعوداً، تتلوى وتعاند كالقدر. استرخي على مقعد السيارة لا يشغل باله شيء.

ست ساعات منذ الفجر. ليست بالزمن الطويل. يفكّر وهو يبتسم، بعضهم يقضي عشر ساعات حتى يصل إلى النقطة التي وصل إليها، حتى ينجز ما أنجزه. يقترب من الحاجز الأخير أمام مخيم قلنديا. بقيت خطوة واحدة ويكسب الحرب!!

سيارات... سيارات... رتل يمتد ويمتد مع الإسفلت. أبطأت السيارة ثم توقفّت في ذيل الصف. فتح الباب ونزل. ألقى نظرة فاحصة . أسراب النمّل تتحرّك بين السيارات والغبار على جانبي الطريق. ذهابا وإيابا، نساء، أطفال، شباب، شيوخ، باعة، طلّاب، حمير، أصوات، صراخ، همسات، دعوات. خليط مدهش من النأّس، التمل، الألم، التزّاب، الإصرار، الغبار، والحياة.

ترك السيارة وتقدّم... انضم إلى الزّاحفين للأمام. مرّت سيارة سوداء نظيفة مثيرة زوبعة من الغبار. تخطت الجميع، فلا حقتها العيون والشتائ م.. .

الشمس تصلي الرؤوس، العرق المالح يسري على الأعناق، يغمر العيون، ومع ذلك فلا بدّ من الإستمرار.

يمشي نزار بإصرار، تلتقط أذناه جُملاً وأنصاف جمل:

«إنهم لا يسمحون لأحد بالمرور، فقط من يحمل تصريحًا من الإدارة المدنية».

«يجب أن أصل إلى رام الله، تصريح بدون تصريح لن أعود».

*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

اقترب من الحاجز. وقف أمام المكعبات الإسمنتية. بعض الجنود يتكئون عليها. جنود لاتتجاوز أعمار بعضهم الثمانية عشر عامًا. لم تنيت شواربهم بع د. أمامهم مئات الرجال والنساء ينتظرون، يأملون، يحاولون استدراج الجنود بكل ما لديهم من قوّة للسماح لهم بالمرور. ولكن دون جدوى. الرّجاء، الدّموع، السنّ، المرض، كراريس الجامعة، كل ذلك لا يجدي... «ممنوع يعني ممنوع».

يشتد التزاحم، الضّغ ط. يلقي احد الحدود قنبلة غاز تتفجر بدويّ مكتوم بين الجمو ع.. .

ركض، سعال جماعي، إغماء، بكاء... دون جدوى... ممنوع يعني ممنوع.

من جديد عاودت الجموع زحفها. تقدّم نزار. وقف أمام مكعبات الإسمنت، ثم خطا بإصرار بالجاه الممرّ الضيق!

ـ هيه! أنت إلى أين، قف!

ـ أريد أن امرً ا

ـ هل تحمل تصريحًا؟ ـ

لا، ليس معي تصريح.

ـ إذن، عد للخلف، ممنوع.

ـ لكن يا «خواجة» ضروري أن أمرّ، لقد أتيت من بعيد، وعندي شغل ضروري.

ـ لا يهمّني. ممنوع. عد للخلف وإلا أطلقت النار.

ـ لماذا تطلق النار، أنا كما تراني أعزل...

ـ قلتُ ممنوع.

*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

تردّد نزار واقفاً، أدار رأسه، مسح الجموع بعينيه من خلال رموشه المغبرة... وعاودالمحاولة:

ـ لو سمحت، تريد أن تحتفظ بهويتي حتى أعود، ها هي تفضّل...

ـ لا أريد الهوية. ممنوع المرور. كلامي واضح.

ـ يا أخي لماذا ممنوع؟ ماذا تريد مني؟ يجب أن أصل إلى رام الله.

نظر الجندي من فوق رأس الرّجل دون اهتمام ثم عاد ونظر في وجه نزار. إنها فرصة للتسلية والسخرية. طلب الجندي الهوية من نزار. نظر فيها، ثم مرّة أخرى في وجه نزار...

ـ إسمع، سأسمح لك بالمرور إذا ألقيت بالقبعّة عن رأسك!

تأمل نزار الجندي ملياّ. ثم نزع القبعّة وطوّح بها بعيدًا.. .

ـ والآن، هل يمكنني المرور؟

قهقهة الجندي وهو يتابع القبعّة تهوي بين أكوام النأّس وتختفي.. .

ـ لم ننتهي بعد، هناك شروط أخرى إذا أردت المرور.. .

احسن نزار بأنه نجح في كسر حاجز الرّفض الإبتدائي القاطع... فبدأ يناور ويلتف حولذاته وحول الجند ي.

ـ نعم، ماذا تريد أيضًا ؟

ـ عليك أن تخلع حذاءك وتتركه عندي على أن تأخذه عند عودت ك.. .

حملق نزار في وجه الجندي، هل هو جاد أم هازل.

*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

ـ مش معقول! وكيف سأسير في هذا الحر، والزّجاج والأوساخ.

ـ حسن،لا تريد، عد من حيث أتي ت.

طأطأ نزار رأسه. استدار قليلاً، مسح الحشود المتكدسة في وهج الشمس والغبار. في الحظة واحدة حضرت مسيرة الألم والتحد ي.

ـ حسن أقبل. قالها بحزم.

انحنى. خلع حذاءه. رفعه ووضعه فوق المكعب الإسمنتي أمام وجه الجندي المندهش مباشرة. ودون أن ينتظر خطا للأمام.

ـ هيه، قف لم تنته الشروط بعد.

تسمّر نزار وهو يحرّك قدميه. فالترّاب حأر والشمس تواصل غليانها.

ـ قبل أن تذهب أريدك أن تحضر لي كاسًا من الشاي.

تأمل نزار الجندي قليلاً. نظر إلى قدميه. قطرات من العرق تنساب مع أخاديد وجهه تتلكا قليلاً عند نهاية ذقنه ثم تهوي وتتلاشى في الغبار الحار.

سار ببطء، وغاب... بعد خمس دقائق عاد وهو يحمل كاسًا كبيرة من الشاي... سلمها للجندي الذي بدأ باحتسائها وهو يضحك ويغمز للجنود الآخرين.

غادر نزار الحاجز... أخيرًا مرّ ... مضى إلى رام الله.. . المهمّ أنه مرّ .

)هنا قد تنتهي الحكاية مع احتفاظها بمنطقها... لكن أحد الفلسطينيين العاديين، أصرّ على التدخّل – كالعادة – لتستمر الحكاية نحو نهاية أخرى(.

بعد أربع ساعات عاد نزار. قبل أن يصل الحاجز خلع الحذاء الجديد. وضعه في كيس بلاستي ك. الإتفاق أن يعود حافياً.

*La presente trascrizione è stata realizzata da **Mariapina Tripaldi**, che ha tradotto il racconto per **Margine Rivista**, sulla base di un documento digitalizzato dall'archivio AlSharekh, accessibile a questo link.*

تقدّم نحو الحاجز ، نحو الجندي.

ـ ها قد عدتُ كما ترى. الآن أين حذائي ؟

غرق الجندي في موجة من الضّحك، وأشار بيده إلى الحذاء الملقى إلى جانب المكعب الإسمنتي.

خطا نزار نحو الحذاء. أدخل قدمه اليمنى تشعر بسائل حار. جفل. تراجع. أمسك بالحذاء... نظر إلى الجندي الذي انضمّ إليه أربعة جنود آخرين وبدأوا بالضحك...

قلب نزار الحذاء فانسكب منه سائل أصفر عكر. نفض الحذاء عدّة مرات... حاول تجفيفه ببعض أوراق الجرائد المتطايرة بكل ما عليها من صور وأخبار القادة ومؤتمرات قمة... نهض بهدوء. أدخل قدميه في الحذاء ومضى. عبر الحاجز. سار ثلاث خطوات. وفجأة توقف... استدار وعاد أدراجه، اقترب من المكعبات الإسمنتية... «ماذا تريد ؟» سأله الجندي وهو يضحك مستغرباً.

وقف نزار صامتاً... نظر إلى السيارت، النّاس... خلع الحذاء. ركّزه على المكعب الإسمنتي. نظر في عيني الجندي بثبات:

ـ كلمة أخيرة فقط أريد أن أقولها لك. ما دمتم تبوّلون لنا في أحذيتنا ونحن نبوّل لكم في الشاي، فلن يكون بيننا سلام. هل تفهم ؟!

استدار نزار بسرعة وغاص بأقدامه العارية في الزّحام...

بيت ساحور، آيار ٢٠٠٣

قاص فلسطيني من بيت ساحور / فلسطي ن